صاحب الدولة احمد جمال باشا

قائد الجيش السلطاني الرابع وناظر البحرية الجليلة

البعثة العلمية

الى دار الخلافة الاسلامية

تأليف

محمد الباقر
صاحب جريدة البلاغ

محمد كرد علي
صاحب جريدة المقتبس

حسين الجمال
صاحب جريدة ابابيل

عبد الباسط الانسي
صاحب جريدة الاقبال

في المطبعة العلمية ليوسف صادر في بيروت ١٣٣٤ هـ ١٩١٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك اللهم تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير انك على كل شيء قدير . ربنا لا تكلنا الى انفسنا فقد نزعنا الى حظيرة قدسك فاوزعنا ان نشكر نعمتك التي انعمت ، واعتبرنا بآياتك في ارضك وسمائك ، وضرعنا اليك لا الى غيرك فهيء لنا من امرنا رشدا ، واكتبنا في عداد الذين وعدتهم بالسعادتين من عبادك المخلصين ، فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده

اللهم صلِّ على محمد النبي الأُمي الذي اخرجنا بهديه الطاهر من الظلمات الى النور وجعلنا امة وسطاً برسالته التي بعث بها للابيض والاسود والاحمر والاصفر ، فاسعد اممًا بعد شقائها وانار عقولا عقب ظلامها ، وقرر قواعد العدل والاحسان . ورضي الله

عن آل محمد واصحابه وتابعيه ومن جاهدوا في الله حق جهاده لاعلاء كلمة الحق في كل عصر ومصر اولئك وعدهم ربهم جنات النعيم هم فيها خالدون

و بعد فلما قامت دول الاستعمار انكلترا وروسيا وفرنسا وايطاليا في سنة ١٣٣٢ و ١٩١٤ على دولة الخلافة العثمانية تتربص بها الدوائر وترمي بما فيها من قوة الى حلّ عراها وتمزيق جامعتها واستصفاء بقاعها ورباعها ليخلو لها الجو وتعبث بعدُ بمصالح ثلاثمائة مليون من المسلمين في الشرق والغرب بضربها عَلَى آخر سلطنة اسلامية مستقلة رأت الدولة العلية اعزها الله وانصارها وهي الحامية الوحيدة للمسلمين منذ ستمائة عام امام دول الغرب الافرنجية ان تحالف المانيا والنمسا والمجر لتقوى عَلَى دفع تيار المعتدين من المستعمرين فكان من روسيا ان بدأت بالاعتداء يوم ١٦ تشرين الاول ١٣٣٠ و ٩ ذي الحجة سنة ١٣٣٢ عَلَى الاسطول العثماني بينما كان يقوم بتمرينات بحرية في شواطيء البحر الاسود فقابل اسطولنا اسطولها بالمثل فلم تلبث ان دخلت غمار الحرب حليفاتها الاخرى فارسلت كل من انكلترا وفرنسا الى مضيق جناق قلعة (الدردنيل) بطائفة كبرى من جيشهما وعشرات من دوارعهما وطراداتهما ورعاداتهما و بوارجهما فاحتل جندهم اماكن من شبه جزيرة كليبولي وهي سد

البحر واري بروني وانا فورطه واخذ يحاول ان يتقدم في بر تلك العدوة ليصل منها براً وبحراً الى دار الخلافة ومتى قبضت بزعمها عَلَى الرأس استكانت جميع الاعضاء فوقفت الجيوش العثمانية موقف من عرف معنى الوطن والدفاع عن الذمار وزاحمت تلك الجموع التامة العديد والعدة بالمناكب والصدور وجندنا محتسب نفسه معتمد نصر الله وعونه واشتدت الملاحم بيننا وبين اعدائنا مرات وهم عَلَى ما جهدوا لم يستطيعوا ان يحتلوا اكثر من خمسة وعشرين كيلو متراً عَلَى طول هذه المواقع الثلاثة من الساحل تحت حماية الاساطيل وكلما ارادوا ان يخطوا شبراً يلقون ضراً وشراً وجند المسلمين يذيقهم الوان العذاب وينزل بهم من الهزائم ما صغروا به في عيون انفسهم وعلموا انهم غرتهم اساطيلهم وجيوشهم واعجبتهم كثرتهم واسكرهم دهاؤهم وغلواؤهم ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين

مضت تسعة اشهر عَلَى هذه الحال والبحر من وراء العدو تحمل اليه اساطيله ما يحتاجه من الميرة والسلاح والكراع والمدافع والقنابل والطيارات والقذائف وجيشنا المرابط والمجاهد هناك يصابر ويطاول ويقاتل ويصاول حتى استحكم اليأس من قلوب الاعداء ، وايقنوا انهم يضربون في حديد بارد او ينقشون عَلَى لجة البحر . كل هذا العمل المدهش الذي وفق الى القيام به جيشنا

المنصور وكان بعضهم حتى في الارض العثمانية يشكون في سرهم بصحة ما كان يترامى الى اسماعهم من الطرق الرسمية من الحادثات والمبشرات وذاك لما وَقر في الاذهان من قوة العدو الموهومة و بطشه المستحر في البر والبحر وان ربك لبالمرصاد . فرأى صاحب الدولة احمد جمال باشا ناظر البحرية والقائد العام للجيش الرابع المخيم في ربوع سورية ان ينتدب اناساً مأمونين من اهل هذا القطر لزيارة الغزاة في جناق قلعة ليبصروا باعينهم مبلغ حوادث الانتصارات من الصدق حتى اذا رجعوا الى قومهم يصفون لهم ما شاهدوا وليس بعد العيان من شاهد ثم ان هذا الوفد يقيم مدة في عاصمة دار الملك يختلط باهلها و يقف عَلَى مكنوناتها واوضاعها ومعاهدها و يؤكد للترك عواطف العرب القديمة وهما الشعبان اللذان حميا بيضة الخلافة يداً واحدة منذ اوائل الدولة العباسية لم يتراجع لهما جيش ولا التوى علَم

وهكذا سار الوفد السوري الفلسطيني من طريق البر الى فروق عاصمة السلطنة العثمانية ومنها الى شبه جزيرة كليبولي وشهد بعينه عظمة الله في خلقه وسره في الامم ورأى الاعلام الافرنجية تتدلى والعلم العثماني يخفق و يتعالى ولما آب الموفدون بعد شهرين من رحلتهم وسكنت ثائرات النفوس من بديع ما شاهدته الابصار

واستمتعت به الافكار وجاءت البشائر بعد شهر بان العدو ركن الى الفرار بجملته تحت جنح الدجى من الاماكن التي كان احتلها في فم المضيق من شبه جزيرة كليبولي مولياً الادبار ببقايا اساطيله وجنده التي ابقى عليها ابطال العثمانيين — وقع الاستحسان عَلَى تسجيل تلك الرحلة المباركة لتجعل في كتاب يتلوه الاعقاب عَلَى توالي الاحقاب يكون خدمة للحق الصحيح والتاريخ الصريح . فالله نسأل ان يجعله خالصاً لوجهه الكريم ويجزل لنا النفع به يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم

رجال الوفد ورئيسه

عهد دولة القائد العام الى الولايات والالوية في سورية وفلسطين ان تختار افراداً من العلماء والفضلاء والوجهاء ليمثلوا قومهم في رحلة الاستانة وجناق قلعة فانتدبت دمشق السيد ابا الخير عابدين مفتيها وعبد المحسن افندى الاسطواني وعطا افندي العجلاني وانتدبت حماة السيد احمد الكيلاني وحمص توفيق افندي الاتاسي وحوران محمد افندي الزعل ومحمد افندي الحلبي وبيروت مصطفى افندي نجا مفتيها وطرابلس الشام الشيخ عبد الكريم عويضة واللاذقية محاسن افندي الازهري وعكا الشيخ ابراهيم العكي والشيخ عبدالرحمن عزيز وحيفا محمد افندي مراد مفتيها ونابلس محمد رفعت افندي تفاحة وعبد الرحمن افندي الحاج ابراهيم وحلب محمد صالح افندى العبيسي مفتيها والشيخ محمد بدر الدين النعساني وعبداللطيف افندي خزنه دار وعينتاب عارف افندي مفتيهـا والقدس طاهر افندي ابو السعود مفتيها والشيخ علي الريماوي ويافا الشيخ سليم اليعقوبي وجبل لبنان الشيخ عبدالغفار تقي الدين واختار الجيش الرابع الشيخ اسعد الشقيري والسيد حبيب العبيدي والشيخ تاج الدين بدر الدين والشيخ

عبد القادر الخطيب ومن ارباب الصحف عبد الباسط افندى الانسي صاحب جريدة الاقبال وحسين افندي الحبال صاحب ابابيل ومحمد افندي الباقر صاحب جريدة البلاغ ومحمد افندي كرد علي صاحب المقتبس

وفي اليوم التاسع عشر من ذي القعدة ١٣٣٣ (١٥ و٢٨ ايلول سنة ١٩١٥) سار معظم الوفد من دمشق عَلَى القطار الحديدي الى حلب فالتقى بالوفد البيروتي في رياق حتى اذا بلغوا الشهباء كان قد تكامل بقية اعضاء الموفدين من الاقطار السورية ولما استقرّ بهم المقام اجتمعوا في دار الولاية بحضور بكر سامي بك والي حلب فقرروا بعض ما يقتضي لهم من الشؤون وفكروا من جملتها في انتخاب رئيس للوفد فاجمعت الآراء في الحال ان يعهد بالرئاسة الى الشيخ اسعد الشقيري رئيس مجلس التدقيقات الشرعية ومفتي الجيش الرابع وذلك لما عرف من سعة علمه وشدة عارضته وفصاحة بيانه في اللغتين العربية والتركية ووقوفه التام عَلَى سياسة القوم ومعرفته بزمانه

اما اعضاء الوفد فهم يمثلون بلادهم وفيهم الفقيه المحقق والعالم الاجتماعي والسياسي المحنك والكاتب والشاعر والاديب والخطيب والوجيه في قبيله وقد تخلف اثنان من اعضاء الوفد وهما مندوب جبل عامل ومندوب الكرك فلم يوفقا للحاق به فكان عدد الموفدين

احد وثلاثين رجلاً نابوا عن اربعة ملايين من سكان سورية وفلسطين او عن ثلاث ولايات ولوائين مستقلين او عن دمشق وعملهـا و بيروت وعملها وحلب وعملها والقدس وعملهـا وجبل لبنان وعمله

الوفد في طريق دار الخلافة

غادر الوفد مساء ٢٠ ذي القعدة ١٣٣٣ مدينة حلب عَلَى قطار خاص فودعه في المحطة جمهور كبير من الحلبيين بزعامة والي الولاية قاصداً الى راجو فقضى ليلته في القطار ومن الغد ركب قطاراً آخر الى الاصلاحية ولم يكن وقع الاحتفال بافتتاح هـذا القسم من الخط البغدادي رسمياً ولذلك كان ركوب الوفد في عربات مكشوفة معرضاً لشرر القاطرة وحرارة الشمس

وليس في الطريق ما يستحق الذكر لان الليل كان دامساً وغاية ما يقال ان القطار اجتاز ارضاً منبسطة في الجملة تشبه تربتها تربة حوران باحمرارها وخصبها وتجود فيها اشجار الزيتون وفي الطريق جداول ماء لا بأس بها منها نهر عفرين المعروف اليوم بقره صو وهو نهر متوسط الحجم وتكثر الجبال في هذا الصقع وهي بعيدة عن ممرّ

القطار ولا سيما بعد راجو ومن هذه الجبال ما هو مشجر وغابات

امـا الاصلاحية اول عمل ولاية اطنة (اذنة) فهي مركز قضاء في السهل، والجبال بعيدة عنها وليس فيها شيء من آثار المدنية حتى ولا نزل او فندق نظيف ولا طهاة ولا مطاعم واهلهـا عَلَى الفطرة قدرناهم بالنسمة تساوى في رداءة العيش غنيهم وفقيرهم فكأن هذه القصبة وهي تعد بحسب العرف من اوائل برّ الاناضول دليل ناطق بتأخر الولايات الاناضولية عن ولايات الشام لان الفرق محسوس جداً بين اعمال حلب واعمال اطنة

الذهاب من الاصلاحية (١)

في الساعة العاشرة زوالية من ليل الجمعة ١٩ ايلول قام الوفد من الاصلاحية عَلَى خمس عشرة عربة ، فسارت في مبدإ الامر تطوي الارض طياً ولكنهـا في الوقت الذي انتهت به الى جبل الساعات ذلك الجبل الشاهق الواقع بين اصلاحية والمعمورة المعروف بجبل كاورطاغ او جبل بركت او جبل انتيللي اخذت هذه العربات بالكلل والملل نظراً لعلو الجبل ولعدم اعتياد هذه العربات صعود الجبال المنبسطة والجبال العالية وذلك لان بلدية حلب لم تراع

(١) عن مقالات لصاحب جريدة البلاغ

مسألة انتخاب عربات خاصة لصعود الجبال بل اختارت عربات حزينة معدة للسير في المدن لا في الضواحي والجبال

ومما يذكر ان بعض افاضل الوفد قد فاضت قرائحهم في وصف هذا الجبل الشاهق فقال الشيخ عبد الكريم عويضة وكان اذ ذاك شاعراً بألم خفيف قبل الصعود الى ذلك الجبل

ايا جبل الساعات ليتك لم تكن
فقد ذقت فيك الموت قبل مماتي
مشيتك في الرمضاء حتى تصاعدت
لمرقاك انفاسي من الزفرات
وشاهدت هول الحشر فيك ولم اكن
وقد حان حيني موقناً بنجاتي
ولكنني اذ كنت اسعى لغايةٍ
مقدسة آثرت بذل حياتي
الا حبذا الموت الذي فيه اغتدي
بخدمة اوطاني وقهر عداتي

وممن اجاد في وصف الجبل ايضاً الشيخ علي الريماوي فقال :

اثنية الساعات ويحك كم لنا
من متعب بك قد شكا اوجاعه

مـا زلت في صعد وطول هائل
حتى لقينـا منك هول الساعه

وقال ابو الاقبال الشيخ سليم اليعقوبي :

جبل الساعات لا كان ولا كان نبت فيه من ذاك النبات
انه اودى بارباب النهى ورمى بالعقبات العربات
حسبنا فيه عذابـاً حره وكفانا منه تلك العقبات

وقال رفعت افندي تفاحه :

جبل الساعات صعب قطعه كقلوب الجيش عند النائبات
يصرع الاعدا اذا ما اقبلت ويريهم معجزات بينات

ويظهر ان رفيقنا علي افندي الرياوي قد اغضبه هجاؤه وهجـاء الشعراء لهذا الجبل الشامخ فانتقل الى تعليل المصاعب التي تناولها رجال الوفد تعليلاً جميلاً فقال :

لا ارى القول حميداً في الذي نظمته الشعرا في العقبات
اننـا نقصد حرباً والذي يقصد الحرب حري بالثبات

عجزت العربات عن التصعيد في الجبل فارغة فاضطر معظم الوفد الى التدرج قليلاً قليلاً بين تلاله ومنعطفاته وقد هب النسيم عليلا ، وانتشر الهواء بليلا حتى انتهينا الى قمته العاليـة في الساعة الحادية عشرة زوالية قبل ظهر الجمعة ثم وفقنا الى تغيير بعض العربات

وطفقت تنزل بنا من اعلى هذا الجبل حتى انتهينا الى منبسط قليل فيه ، وانخنا ركابنا في بلدة صغيرة تسمى (حسن بكلي) وهي ناحية ذات مركز عسكري وفيها جند ومفتش للمنزل تحيط بها الاشجار والمياه من معظم اطرافها ذكرتنا بقرى لبنان الجميلة و بعد تناول الطعام والاراحة قليلاً ركب الوفد مطاياه وسار باسم الله مرساه ومجراه . انشأت العربات تجتاز بنا السباسب والانجاد وتقطع الجبال والوهاد منسابة بين البساتين والاشجار حتى وصلنا في الساعة الثالثة زوالية بعد الظهر الى محلة (قانلي كجى) فارحنا النفس قليلاً من وعثاء السفر ثم استأنفنا السير الى ان انتهينا في الساعة الخامسة الى محطة المعمورة وهي مبدأ الخط الحديدي الذي ينتهي في مدينة طرسوس مبدأ جبال طورس

السفر من معمورة

قمنا صباح يوم السبت في الساعة الثامنة صباحاً عَلَى القطار الحديدي الكبير واخذ يجتاز بنا الفيافي والسهول و ينساب بين السباسب والتلول حتى وقف بنا في محطة العثمانية وهي بلدة جميلة جداً كثيرة المياه والاشجار

وقد صادف ان احدنا كان قبل الوصول الى هذه البلدة واقفاً في احدى شرفات القطار مع الشيخ عبد الكريم عويضة يمتعان

النظر في مناظر السهول الجميلة فجاش الشعر في نفس الاستاذ فقال :

تخيلت اذ مرّ القطار بنا ضحى عَلَى بلدة اضحت لعثمان تنسبُ
وبانت بها الاشجار من كل جانب وقد وقفت تدعو الاله وتطلب
بنصر امير المؤمنين محمد رشاد العلى وهو المليك المحبب
وقد حقق المولى الكريم رجاءها ولبى دعاها بالذي فيه ترغب
فلازال للاسلام سيفاً عَلَى العدى تذوق به كأس المنون وتشرب

ثم قام القطار من العثمانية بعد نصف ساعة من مكوثه فيها واخذ يطوي بنا الارض طياً فمر عَلَى قرى ونواح ومدن عامرة بالاهالي والمتنزهات منها ناحية (طوبراق قلعة) وهي ناحية جديدة بنيت بعد مرور السكة بارضها وناحية (ويسيه) وهي ناحية قديمة ذات عمران وسكان ومدينة (جيحان) وهي قضاء عامر ينساب فيه نهر جيحان المشهور وقد انشد عند مرورنا بهذه المحطة عبد الكريم افندي الموما اليه البيتين الآتيين :

اشبه قلبي حين طار به الهوى
لنحو فروق زائد الوجد والجوى
بمنطاد (زبلين) وقد ساير السهى
ووثب قطار جاب في سيره الفلا

ومنها ناحية (كورجيلر) مرّ بها القطار في الساعة ١١ زوالية

وقام منها في الساعة ١١ وثلث ومنها بلدة (انجير لك) وبالقرب منها قلعة ابراهيم باشا وهي قلعة متهدمة ولكنها ذات علو شاهق

وفي الساعة ١٢ زوالية وصل بنا القطار الى مدينة اطنة ، وهي حاضرة جميلة ، ذات انهر وبساتين ، وقد بقي القطار في اطنة زهاء ساعة ونصف ثم قام بنا قاصداً مدينة طرسوس ، فمر بطريقه عَلَى عدة قرى و بلدان منهـا زيتونلق ، يكتيجه ثم وصل الى طرسوس في الساعة الثانية ونصف زوالية بعد الظهر ، وكان عَلَى المحطة قائممقام المدينة ، فتهيأت لنـا العربات الى اللوكندات ، وهناك تفرق الجمع كل قسم في محله واخذوا يتفرجون عَلَى آثار المدينة ومنهم من زار قبر المأمون الخليفة العباسي دفين تلك المدينة

في طرسوس

نمنا ليل الاحد في طرسوس ، وكان نومنا هادئاً بعد ان قطعنا قسماً من الليل في الحديث والسمر حتى اذا اصبح الصباح ذهب الموكل بخدمة وفدنا لينظر في امر العربات اللازمة لسفر الوفد الى محطة بوزانتي مبدأ الخط الحديدي الذي ينتهي بالاستانة فتهيأت بمعاونة بلدية طرسوس التي اظهرت كل ايناس ولطف اذ دعت الوفد الى تناول طعام الغداء ووفرت له اسباب الراحة والطمأنينة وفي الساعة الواحدة بعد ظهر الاحد ركب الوفد ست عشرة عربة

من العربات الخاصة ،

سارت العربات بنا تطوي الارض وتجتاز السهول مارة بين الاشجار والبساتين حتى وصلنا الى قرية كولك ، ومنها الى قرية كورت موسى ، وهي مبدأ الصعود الى جبال طوروس الشهيرة بعلوها ووفرة خصبها وكثرة مياهها العذبة ، وقد قال رفيقنا الرياوي في وصف هذه الجبال التي تناجي الافلاك وتناغي السماك بشموخها وعلوها البيتين الآتيين :

جبال طوريس هل مطار لمرتقى سواك لاعَلَى قمة ومقام
اطلت جبال القدس منك بعيدة فمن مبلغ عني الحبيب سلامي

وقد ظلت العربات تقطع بنا تلالاً ووهاداً حتى انتهينا الى ناحية (جام الاكي) وتسمى ايضاً ناحية كولك فانخنا مطايانا عند مدير الناحية

يوم الاثنين

نهضنا صباح الاثنين في الساعة السادسة وربع واستأنفنا السير في انجاد هذه الجبال واوعارها بعد ان ودعنا المدير ومفتش المنطقة العسكرية الموجودة في هذه الناحية واخواننا الجنود الذين خدمونا اية خدمة في اثناء مكوثنا في هذه الناحية

وقد تحققنا بالذات ان هواء هذه الجهة جيد جداً ، وماءها

عذب فرات ومناظرها جميله وحكومتها نشيطة

وصلت العربات بنـا الى محلة تسمى قايرخاني ، وهي منطقة عسكرية الآن وفيها طابور للعمليات يشتغل بتمهيد الطرق ورصفها وقد مررنا في هذه الجبال بمضيق طويل يسمى (كولك بوغازي)

ظللنا نسير عَلَى مثل هذا النظير حتى بلغنا محطة بوزانتى التي سبقت الاشارة اليها وكان وصولنا اليها في الساعة ١٢٠ زوالية

ما هي بوزانتي

يظهر من مجمل مرأى هذه البلدة الصغيرة انها لم تكن من قبل شيئاً مذكوراً ، ولكن مرور القطار بها جعلها تتهيأ للتقدم شيئاً فشيئاً وهي واقعة بين جبلين ، وفيها عدة بيوت وجامع جديد ، ومنطقة عسكرية كبرى وفيها جامع جديد انشأته حكومتنا جرياً عَلَى عادتها في احياء شعائر الدين ، ولما كان يتعذر وجود مكان مناسب في هذه الناحية لمبيتنا قدم لنا بعض الضباط محلاتهم الخاصة ثم امروا بنصب ثلاثة سرادق خاصة وقد كان السرور عاماً سيما وان هذه المنطقة او المحطة فيها الراحة الحقيقية ، اذ سير كب الوفد القطار فلا ينزل الا في محطة الاستانة الكبرى .

محاضرة الاستاذ الرئيس

وقد اغتنم حضرة الاستاذ الرئيس فرصة اجتماعنـا في الجامع